الفصل الرابع

انتفاضة ليلة ـ نهرو وملابسها

من المستحيل من الوجهة الإنسانية تقديم وصف لكافة أحداث القتل والتشويه والحرق والنهب التي تعرض لها المسلمون، بشكل منظم في الهند كل هذه السنوات، لذا من الضروري سرد الأحداث الطائفية الرئيسية التي أطاحت بأرواح الكثير من المسلمين وأدت إلى خراب واسع النطاق في ممتلكاتهم.

وتعتبر حوادث الشغب التي حصلت في البنغال الغربية في فبراير ـ مارس سنة ١٩٥٠ من أسوأ الانفجارات الطائفية في هذه الفترة. وحسب ما ذكر محرر صحيفة ستيتس مان في كلكتا بأنها كانت أشد عنفاً من الإضطرابات التي حصلت زمن التقسيم، فقد أدت هذه الحوادث إلى كوارث ونكبات خطيرة مثل التي حدثت قبل سنة ١٩٤٦. هذا بالإضافة إلى أنها أدت إلى تجدد الهجرة على نطاق واسع إذ بدأ مئات الألوف من الناس بالهجرة من جديد، وقد اعترفت صحيفتا التايمز ومانشستر غارديان في وصف حوادث الشعب زودهما بها مراسلاهما ووكالتان بريطانيتان للأنباء وقالتا: إن هذه الحوادث تذكر بمجزرة كلكتا الفظيعة التي حدثت سنة ١٩٤٦. وفي سنة ١٩٤٧ لم يدخر زعماء الهنادكة وصحافتهم جهداً في إلهاب الشعور الطائفي وحث الهنادكة على الانقضاض على المسلمين الضعفاء. وفي خطاب ألقاه سردار بتيل في كلكتا قال: «إن هذه الحوادث تذكرنا بمجزرة كلكتا الفظيعة وبمأساة نواكهالي[1].

---

(١) NOAKHALI

كيف تستطيع البنغال أو حتى الهند كلها أن تنسى تلك الأيام؟ كيف تستطيع الهند أن تنسى تلك الأيام القاتمة؟ إنه من المستحيل إلغاء صفحات التاريخ التي كتبت عليها تلك الفصول المأساوية عندما يحين الوقت لتحديد مستقبل البنغال؟».

وتحدث بتيل عن حمام الدم الذي تلا التقسيم وقال: «إن البنغال قد عانت الكثير لأننا كنا بعيدين عن إخواننا وأخواتنا عبر الحدود. إن الجروح التي أصبنا بها لم تلتئم بعد. وحرض جمهور الهنادكة على عمل ما يستطيعون عمله لهؤلاء الأصدقاء الذين كانوا معنا حتى يوم أمس وقد أصبحوا اليوم غرباء عنا. وصرح بأنه إذا كان باستطاعتنا التعبير عن عواطفنا وتعاطفنا مع الشعب في أفريقيا الجنوبية ونسرع لمساعدته فمن الأخلق بنا والأسهل علينا أن نفعل ذلك مع الشعب في باكستان الشرقية، لماذا كان بتيل يستعيد ذكريات الماضي الأليم؟ لماذا يحيي هذه الذكريات المرة البغيضة؟ وفوق ذلك كله لماذا كان يحرض الهنادكة في البنغال الغربية على الإسراع لمساعدة الذين كان قد مضى عليهم ثلاث سنوات وهم يعيشون مواطنين مسالمين آمنين في باكستان؟ ماذا كان هدف سردار بتيل من هذا التحريض غير إثارة العواطف الطائفية في البنغال الغربية وخلق إحساس بانعدام الأمن بين الهنادكة في البنغال الشرقية».

بدأت هذه الحملة في أساسها بالصحافة، فمنذ شهر نوفمبر سنة ١٩٤٩ كانت صحيفة هندوستان ستاندرد وصحيفة امريت بازار باتريكا تنشران قصصاً مبالغ فيها ومزيفة أحياناً تتحدث عن اضطهاد الهنادكة في البنغال الشرقية وعن استيلاء واسع النطاق على ممتلكات الهنادكة ومصادرتها وعن طرد الهنادكة من منازلهم وازعاجهم باستمرار من قبل رجال الشرطة. يضاف إلى ذلك تهجم المسلمين على الدين الهندوكي، وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة هندوستان ستاندرد في عددها الصادر في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٤٩ قصة خيالية عن مواطن في دهاكة يصف هجوماً شنه مئة مسلح مسلم على منزل تاجر هندوكي في دهاكة واستمر هذا الهجوم أكثر من ساعة وأسفر عن تحطيم تمثال للإله. وفي ١١

ديسمبر ذكر مراسل صحيفة دهاكة أن المسلمين يجبرون تلاميذ المدارس والجامعات الهنادكة على الاشتراك مع المسلمين في صلواتهم.

ونشرت صحيفة امريت بازار باتريكا في عددها الصادر في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٤٩ لائحة بأسماء منازل عائدة للهنادكة قد صودرت. وفي ٢٢ ديسمبر كشفت استجوابات جرت في مجلس النواب الهندوكي بأنه قد تم حتى ٣٠ يوليو مصادرة ٥٠٢٥ منزلاً منها ٨٣٥ منزلاً تعود للمسلمين وعندما أنكر وزير الضرائب في البنغال الشرقية بأن يكون قانون إخلاء الملكية المطبق في باكستان قد طبق في باكستان الشرقية وبالتالي فإن منزلاً واحداً لم يصادر لم تذكر هذا التكذيب أية صحيفة هندوكية بل استمرت الصحافة الهندوكية في اختراع القصص عن المصادرات بشكل بارز.

من الجدير بالذكر هنا أنه قبل التقسيم كان ٨٠ في المئة من الملكية في المدينة في البنغال الشرقية عائدة للهنادكة، هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا يملكون احتكارات مشابهة في الأعمال والتجارة والزراعة ومهن أخرى ومن الطبيعي أن تكون وطأة قانون المصادرات أثقل عليهم مما هي على المسلمين ومع ذلك فإنهم قد اختاروا أن يعطوا هذه العملية طابعاً طائفياً كما فعلوا في الطلب القديم العائد لإصلاح الأراضي.

وبالإضافة الى الصحافة فقد تدخلت الأحزاب السياسية بما فيهاحزب المؤتمر في الميدان وعملوا جميعا على نشر كراهية المسلمين والحقد عليهم. وذكرت لجنة المؤتمر (الكونغرس) الإقليمية في محافظة باريسال في تقرير لها قدمته إلى حكومة البنغال الشرقية تقول فيه بأن الجو في باكستان الشرقية مشحون بالشك والريبة، وذكر التقرير أن السبب في هذا الوضع يعود إلى عدة عوامل منها مصادرة المنازل وذبح البقر بشكل علنيمما أدىالى خلق اضطراب نفسي بين الهنادكة والبنغال الشرقية فبدأوا بالهرب إلى البنغال الغربية، وحينما سردوا عند وصولهم، الروايات المفزعة هبت عدة منظمات منها لجنة حماية حقوق الأقليات للدفاع عن قضيتهم. وفي اجتماع عقد في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٤٩،

دعت هذه اللجنة الى تجديد طلب كان سردار بتيل هدد به عام ١٩٤٨ وهو قولـه: «إذا استمر تدفق اللاجئين فستطالب هندوستان بمناطق حدودية في البنغال الشرقية لإسكان اللاجئين».

وفي الوقت نفسه انبعثت المهاسبها[١] الهندوكية التي نادت: (هندوستان للهنادكة) من سباتها السياسي الذي غرقت فيه بعد اغتيال غاندي واخترعت عدة برامـج سياسية أشهـرهـا اثنـان هما: الأول: إن تقسيم البلاد لم يكن شرعياً والثاني: إنهم يطالبون بانتزاع محافظتين أو ثلاث محافظات حدودية من البنغال الشرقية.

انفجرت حوادث الشغب عندما نشرت فجأة صحافة كلكتا في فبراير سنة ١٩٥٠ حادثة قديمة جرت منذ ٤٥ يوماً في قرية في البنغال الشرقية وهي: إن فريقـاً صغيراً من رجال الشرطة ذهبوا إلى قرية (كالشيرا)[٢] في (باغرهات)[٣] للقبض على هنـدوكي يعتقـد أنه شيوعي فحدث اصطدام بين رجال الشرطة والأهلين فأصاب الفريقين بعض الأضرار وقتل شرطي برتبة مساعد. يبدو أنه ليس هناك فرق بين هذه الحادثة والشجار الذي حدث في البنغال الشرقية ما عدا فرق بسيط وهـو أن رجـال الشـرطـة وأهـل القرية في هذا الحادث الذي ثار الشيوعيون فيه كانوا من الهنادكة، أما الحادث الذي حدث في البنغال الشرقية فقد كان أهل القرية من الشودر وهي طبقة من أدنى الطبقات الهندوكية بينما كان رجال الشرطة من الباكستان أي أنهم مسلمون.

وعلى أثر هذه الحادثة الغامضة التي حدثت في البنغال الشرقية والتي كانت شيوعية محضـة وليست بطائفية، انفجرت ثورة طائفية لم يعرف لها مثيل قبل التقسيم وذكـرت صحـافـة كلكتـا أن المـزارعين الشـودر ذهبوا ضحية القمع الإسلامي وأنهم عوملوا معاملة سيئة وأجبروا على الهرب لأنهم من الهنادكة وقد

(١) مجلس النواب الهندوكي.

(٢) KALSHIRA

(٣) BAGERHAT

انتقلت أخبار هذه الحادثة مع انتقال اللاجئين وتوسعت بشكل كبير وساهمت شهادات اللاجئين إلى البنغال الغربية في دعم روايات الصحافة، ولم تبذل حكومة البنغال الغربية جهداً يذكر في كبح جماح الثورة بل ألقى أحد الوزراء كلمة فهم منها تشجيع على هذه الثورة.

في حوالي ١٨ يناير سنة ١٩٥٠ بدأت حوادث طائفية متفرقة في مناطق الطواحين المحيطة بكلكتا وفي محافظة مرشد آباد. وفي الرابع من فبراير حدثت ثورة خطيرة في شمال شرق كلكتا وانتشرت الحرائق وحوادث السلب والنهب والطعن بالمدي وهرب المسلمون الخائفون بالآلاف جماعات من منازلهم المحترقة إلى شمال كلكتا ليعسكروا في حالة تثير النفوس على الأرصفة في المنطقة المخصصة للسيرك.

لقد أدت حوادث الشغب في كلكتا إلى ردة فعل في دهاكه فحدثت أعمال نهب بعض حوانيت الهنادكة إلا أن القوات الحكومية كلها إبتداءً من الوزراء فما دون طافت المدينة لإيقاف حوادث الشغب، وحدثت بعض حوادث الشغب في نواكهالي وباريسال، ولكن لم تتخذ هذه الفوضى شكل عصابات ثورية بل ظهرت عادية بشكل حوادث شغب أفرادية قام بها أفراد أو فئات صغيرة من الناس، وحدث في شيتاغونغ[١] وسيلهت[٢] بعض الحوادث الثانوية.

بدا أن الوضع قد هدأ من نفسه ولكن في العاصمة الهندوكية وفي غيرها بدا أن كارثة كبيرة قد حلت، فقد انتشرت إشاعة عن خطة مدبرة ترمي إلى قتل الهنادكة أو طردهم من البنغال الشرقية. وخلال شهر فبراير بذل زعماء الهنادكة ما بوسعهم وكذلك الصحافة الهندوكية لخلق هستيريا حرب في بلادهم فهبّ لياقت علي خان، الذي أصبح فيما بعد رئيساً لوزراء باكستان، وكانت الهند بالفعل تحضّر للحرب إذ كانت معاملها الضخمة التي تنتج المعدات الحربية تعمل ليل نهار، وكانت حركة التطوع في القوى المحاربة تجري على قدم

(١) CHITAGONG

(٢) SYLHET

وساق. وقام عدد من زعماء الهنادكة منهم (جي[1] براكاش ناراين(و(روهيني[2] كومار تشودري) بالدعوة إلى التدخل المسلح في باكستان الشرقية حتى إن نهرو هدد في مجلس النواب الهندوكي في ٢٣ فبراير باكستان بقوله: «إذا لم توافق باكستان على الخطط التي اقترحتها هندوستان فعلينا أن نتبنى خططاً أخرى». وقيل أن إحدى المنظمات المتطرفة في البنغال الغربية كانت تخطط لعمل مسلح على غرار ما تم في حيدر آباد. ومن الجدير بالذكر أنه في مناسبة سابقة هدد نائب رئيس الوزراء الهندوكي شخصياً باكستان بقوله: «إذا انهار الوضع في البنغال الشرقية أو في كشمير فسوف تنهض أمتنا وتحل المشكلة كما فعلنا في حيدر آباد».

وعندما كانت البنغال الشرقية هادئة تماماً كما يشهد على ذلك العقلاء من الهنادكة أنفسهم فقد قام (سري براكاش)[3]، الذي أصبح فيما بعد المندوب السامي الهندوكي في باكستان، بجولة في البنغال الشرقية وكان مندهشاً بسرور من عدم وجود أي مظهر للخوف أو لليأس بين الأقليات في البنغال الشرقية. وأيقن أن الزعماء في البنغال الشرقية يرغبون بالتأكيد في معاملة الأقليات معاملة عادلة وعلق على ذلك بقوله: «إن مشكلة الهنادكة في البنغال الشرقية هي من الناحية الجوهرية مشكلة نفسية». وكذلك وصف (ساتش[4] تشاندرا غوبتا)، وهو شخصية هندوكية بارزة، موقف الباكستان من الأقليات على أنه موقف ودي تماماً ونصح صحافة البنغال الغربية بعدم نشر القصص الاستفزازية. وكذلك قام الدكتور (غوش)[5]، وهو زعيم في كونغرس البنغال الغربية، بجولة في البنغال الشرقية ونصح الهنادكة بعدم مغادرة منازلهم وبقبول باكستان بلداً لهم. وقامت صحيفة ستيتس مان بنشر عدة مقالات تصف فيها الوضع الطائفي في

---

(١) JAI PRAKASH NARAYAN

(٢) ROHINI KUMAR CHAUDHZY

(٣) SRI PRAKASH

(٤) SATESH CHAUDRA GOPTA

(٥) GHOSH

البنغال الشرقية بأنه: (ممتاز) وذكرت بأن الأمن يسود القرى وأن الهنادكة يعاملون معاملة أفضل مما يعامل به المسلمون اللاجئون من بهار.

وقد أدان رئيس وزراء البنغال الغربية الدكتور (راي) الدعاية المتهورة في الصحافة الهندوكية وعاقب الصحف على نشرها ملاحظات عن وجود إضراب في كلكتا الأمر الذي أدى إلى بعض المشاجرات في بعض أنحاء المدينة، واستنكر استعمال الصحفيين لغة منحطة يخجل المرء منها.

غير أن التحذير أتى متأخراً فلم يأت بالثمرة المطلوبة فانفجرت حوادث الشغب ثانية في كلكتا في الأسبوع الأول من مارس وكتب (ايان ستيفنسن[1]) عن ذلك قائلاً: وهكذا تعرض المسلمون إلى هجوم عنيف في عدة مناطق من البنغال الغربية وكثيراً ما كانت أخبار ذلك لا تنشر. وثارت موجة مخيفة من الإشاعات حول البنغال الشرقية وتحركت هجرة الأقليات الخائفة من كلا الجانبين وفي كلا الإتجاهين.

فوق كل هذا انتشرت الهستيريا في مدينة كلكتا وعمت المدينة من أدناها إلى أقصاها، وعبثاً حاول مراسلو الصحف المخلصون ارسال تقارير إلى البنغال الشرقية يؤكدون فيها الانطباع المعتدل نسبياً الذي كوّنوه بأنفسهم من ملاحظاتهم المباشرة ومن المصادر الموثوقة. ولكن لم تقبل أية صحيفة نشر هذه التقارير لأن نشرها سيسبب غضب الجماهير.

والأسوأ من ذلك أن البيانات الصحفية التي كانت توصف بأنها غير رسمية يسمح بنشرها إذا كانت بيانات متحيزة ومحرفة وصادرة عن وزارة بندت نهرو في دلهي. ويبدو أن نهرو شخصياً قد تأثر بمزاج الصحافة المولع بالقتال، وقد علق على ذلك مراسل صحفي هندوكي التقى بنهرو عندما زار البنغال الغربية فقال له نهرو: (إنها الحرب) وبالفعل في الأسبوع الأول من شهر مارس بدا أن الحرب أمر لا مفر منه، ونقل نهرو قواته إلى مسافة قريبة جداً من حدود باكستان

---

(١) IAN STEPHENS

وليس من حدود البنغال بل من حدود البنجاب أيضاً. أما قوات هندوستان المصفحة التي لا يوجد لها نظير في باكستان فقد واصلت سيرها في طريق تهدد منه لاهور.

كانت النتيجة لكل ما تقدم مذبحة قاسية ضد المسلمين في هوراه[1] وأصبح لون السماء داكناً لمدة يومين على التوالي بسبب الدخان المتصاعد من المنازل ومن أكواخ الفقراء المحترقة، ولم يعرف في التاريخ كوارث مماثلة، ولمعالجة الموضوع أعلنت حالة الطوارىء محلياً ولكن في دلهي رفضت الإعتراف بها بعد ساعات فقط وفي ضاحية أخرى من المدينة تعرض مواطن بريطاني معروف هو رئيس الغرفة التجارية في البنغال إلى الضرب المميت عندما حاول الدفاع عن خادم مسلم.

وبموجب تقديرات متحفظة قتل أكثر من ١٠,٠٠٠ شخص في حوادث الشغب التي حدثت في البنغال الغربية بين فبراير ومارس، ويعتبر رجال الشرطة والجيش السبب الرئيسي لعدد كبير من الكوارث بسبب مساعدتهم للمشاغبين في أعمالهم الشائنة. وفي ولاية باتا[2] نغر التي تبعد عدة أميال عن كلكتا نجا ٥٠٠ شخص مسلم من الفنيين والموظفين من أصل ٦,٠٠٠ شخص، وحرق أئمة المساجد أحياء والقرآن الكريم معلق في أعناقهم، وتعرضت النساء المسلمات إلى الاغتصاب بحضور كبار رجال الشرطة في منطقة مورلياغان[3] في كلكتا وهوراه، وتكررت أساليب القتل المتبعة في بهار والبنجاب في معظم الحالات، وتعرضت الأحياء التي يقيم فيها المسلمون إلى حصار من قبل عصابات هندوكية وبعد أن اقتحموا المساكن أضرموا النار فيها وتبع ذلك هرب المسلمين بعد أن فتحت عليهم رجال الشرطة والجيش النار بقيادة كبار الموظفين، وقامت فرق مسلحة ترتدي لباس الجيش بأعمال تخريب في بعض

---

(١) HOWARAH

(٢) BATANGAR

(٣) MURLIBAGAN

المناطق المنكوبة وذهبوا إلى أبعد من ذلك إذ أخذوا يعلنون حالات الطوارىء من أنفسهم ومن غير أن تكون الحكومة على علم بذلك، وذلك عندما يحلو لهم أن يفعلوا ذلك أو أن يكون هذا العمل في صالحهم، وفي مناطق كثيرة تعاطف رجال الشرطة من أوشاب الناس وقاموا بالقبض على المسلمين دون تمييز وأطلقوا النار عليهم بينما بقيت عصابات الاجرام الهندوكية المسؤولة عن إشعال الحرائق والتفجير والطعن وغيرها من أعمال العنف والوحشية دون عقاب.

في أربعة أيام فقط خسر المسلمون ما يقدر بـ ٥٠٠ مليون روبية من ممتلكاتهم وفي كلكتا وحدها قدرت الخسارة بنحو ٢٠ مليون روبية وأحرقت منازل ومتاجر عائدة لـ ١٥٠٠ أسرة ونهبت أموال ٢٨٠٠ أسرة، وقد دمر عدد كبير من المحال التجارية بشكل كامل ولم تسلم المساجد والأماكن الإسلامية المقدسة من التدمير بل تعرضت للحرائق والانتهاك والتدنيس ودمر نحو ٢٠٠ معمل للصابون ومئة مدبغة و٣٠ معملاً للكبريت ومخابر كيماوية ومعامل أقمشة قطنية وحريرية تعود جميعها إلى المسلمين وطرد نحو ١٠٠ ألف مسلم من كلكتا وحدها.

ومما يدعو للدهشة أن المصادر الرسمية أعلنت عن مقتل ٢٣ شخصاً فقط نتيجة هذه الحوادث وأن عدد الجرحى لم يتجاوز ١٢٣ شخصاً، إلا أن الأرقام التي أعطاها بعض زعماء الهنادكة جعلت الوضع أكثر تشويشاً إذ قال نهرو إن عدد القتلى حتى ١٧ فبراير بلغ ٢٠ شخصاً فقط. أما مولانا أبو الكلام أزاد فقد قدر عدد القتلى بنحو ٢٠٠ شخص. ومن هذا يبدو بوضوح إنه ليس عند أحد منهم أدنى فكرة عما حدث في بلاده أو أنهم لم يهتموا بمعرفة ما حصل. وحينما زار نهرو في ٧ مارس مدينة كلكتا قدم إليه المسلمون المرهقون المنكوبون عريضة ذكروا فيها لمحة خاطفة مما عانوه في الشهرين الماضيين وورد في العريضة المذكورة: (أيام قلق، ليالي أرق، عطش، جوع، نزاع موت، آلام وموت). أما الدمار فكان من أكثر الأمور المفزعة في هذه الكارثة المروعة.

واستمرت العريضة في شكواها قائلة: (في المناقشات التي جرت في المجلس النيابي حول الوضع في البنغال يبدو أن الأقليات في باكستان الشرقية حصلت على الرعاية المقدسة من حكومة الهند وهي من دمنا ولحمنا بينما لم تنل الأقليات في البنغال الغربية سوى لفتة عابرة في المجلس النيابي.

في بداية عام ١٩٥٠ جرت حوادث شغب خطيرة في جزء كبير من ولاية آسام يمكن تقدير درجة خطورتها من حديث حاكم الولاية آنذاك وهو جيرامداس[١] دولترام إذ قال أن ٥٣,٠٠٠ أسرة طردت من منازلها أي ٣١٨,٠٠٠ شخص على أساس ستة أشخاص في كل أسرة. وجاء في إحصاء رسمي لعام ١٩٥١: غادر نحو ١٥٠,٠٠٠ مسلم مقاطعة غوالبار[٢] في بداية ١٩٥٠ بسبب حوادث الشغب الطائفية التي لم يسبق لها مثيل وهناك هجرة واسعة النطاق للمسلمين من جوار مقاطعتي كامروب[٣] ودارانغ[٤].

كانت الآلام والمحن وحوادث الموت والتدمير ستستمر لتصبح مصير المسلمين المحتوم لو لم يقم رئيس وزراء باكستان لياقت علي خان باتخاذ خطوة شجاعة وجريئة وذلك بزيارة دلهي في بداية شهر ابريل وتوقيع اتفاقية الأقليات الشهيرة المعروفة باسم: (اتفاقية لياقت ـ نهرو) في ٨ ابريل سنة ١٩٥٠ والتي أعطت حياة جديدة لآمال الأقليات في كلا البلدين. كان الهدف من هذه الاتفاقية منح الأقليات في مقاطعاتهم المساواة التامة مع المواطنين، بصرف النظر عن الدين واشعارهم باحساس تام بالأمان والاستقرار في الحياة والثقافة والملكية والكرامة الشخصية وحرية الحركة في كل بلد وحرية اختيار المهنة وحرية الكلام والعبادة في نطاق القانون والأخلاق، وكذلك أكدت الاتفاقية على أن يكون ولاء الأقليات وإخلاصهم للدولة التي هم مواطنون فيها، وإن حكومة

---

(١) JAURAMDAS DAULATRAM

(٢) GOALPARA

(٣) KAMRUP

(٤) DARRANG

بلدهم هي المعنية بتعويضهم عما أصابهم من مظالم. وقد تضمنت الفقرات الأخرى في الاتفاقية حرية الحركة وسهولة المعاملات الجمركية واستمرار ملكية الممتلكات التي تركها المهاجرون لأصحابها وتشكيل لجنة تحقيق لاستقصاء أسباب حوادث الشغب الأخيرة ودرجة خطورتها ومنع نشر المعلومات أو الأفكار الموجهة ضد البلد الآخر وتعيين وزيرين في المركز ومفوضين لضمان تنفيذ الاتفاقية.

ومن أبرز فقرات الاتفاقية منع الدعاية المعادية وضمان عودة الممتلكات التي خلفها المهاجرون وراءهم إلى أصحابها.

كان الهدف من الاتفاقية أبعد من تسوية الخلافات الخاصة ذات الطابع الدبلوماسي العالي بل أريد منها أن تكون نقطة تحول في العداوات التي هددت حياة الأقليات المنتشرة في البلدين، ولهذا كان الأمل من الإتفاقية لا أن تعيش الأقليات في أمان فقط في الهند بل أن تحصل على الحقوق نفسها التي يتمتع بها المواطنون الأكثرية.

حوادث شغب ضد كتاب الزعماء الدينيين:

يبدو أنه كان للاتفاقية تأثير كبير على الوضع الطائفي المتفجر إذ على الرغم من حدوث بعض حوادث شغب متفرقة هنا وهناك، فقد مرت ست سنوات على الإتفاقية ولم تفسدها حادثة تذكر، ولكن هذا الهدوء انقطع في شهر أكتوبر ١٩٥٦ عندما انفجرت حوادث الشغب في عدة أماكن من (يوبي)[١] وبهار ومادهيا براديش وكان العامل المحرض لهذا الانفجار احتجاج المسلمين على نشر كتاب باسم (الزعماء الدينيون) الذي يتضمن ملاحظات فاحشة ومقذعة بحق الرسول المقدس، فأقام المسلمون مظاهرة احتجاج في عدة أماكن: بهوبال[٢]، لكهنو[٣]، مرادآباد[٤]، وكذلك عقدت اجتماعات احتجاج في

---

(١) يو بي (U.P) هو اختصار كلمة UNITED PRVINCES أي الولايات المتحدة وهي منطقة في وسط هندوستان.

(٢) BHOPAL

(٣) LUCKNOW

(٤) MORADABAD

آغـرا[١]، لكهنـو، كانبـور[٢]، عليكره[٣]، غازي بور[٤]، باهرتش[٥] هاردوي، أجمير [٦] ومدن أخرى.

وبلغ عدد القتلى في محافظتين من يوبي أحد عشر شخصاً وجرح ٣٤ في مدينة بريللي [٧] في الثامن من أكتوبر وفرض حظر التجول لمدة ١٨ ساعة في جوبيلبور [٨] ووضعت الشرطة المسلحة في مناطق الشغب، وفي يوم واحد فقط وهو ٨ أكتوبر قتل ستة أشخاص وجرح ١٤ وآخرون في مدينة أوراي [٩] من منطقة جهانسي[١٠] وكان من بين القتلى هندوكي واحد وقد اعتقل في مقابله سبعة من المسلمين. وبالإضافة إلى ذلك قتل العديد من المسلمين في معارك طائفية في آغرا ومراد آباد وامتدت حوادث الشغب إلى العاصمة الهندوكية نفسها حيث جرح ١٨ شخصاً منهم امرأة وطفلان في اصطدام طائفي وقع في ٢٨ أكتوبر في منطقة بول بانغاش[١١] في بهار.

واستعمل رجال الشرطة النيران في (صاحب غوني)[١٢] في ١٧ أكتوبر عندما اعتـرض طريق موكب المحتفلين بالآلهة (دورغا) وقتل ثلاثة آخرون برصاص رجال الشرطة ونشب في باتنه[١٣]اضطراب عندما حاول موكب كبير من الهنادكة نصب تمثـال الآلهـة دورغـا في مسجد شاهي فكان لا بد للمسلمين من أن يعتـرضوا على هذا العمل فنشب القتال. وأعلن أيضاً عن حوادث شغب في راكسول[١٤]عندما هاجم جماعة مسلحة من الهنادكة المسلمين وسلبوا حوانيتهم ومنازلهم.

---

(١) AGRAH

(٢) KANPUR

(٣) ALIGARH

(٤) GHAZIPUR

(٥) BAHRAICH HARDOI

(٦) AjMiR

(٧) BAREILLY

(٨) JUBBALPUR

(٩) ORAi

(١٠) JHANSi

(١١) PUL BANGASH

(١٢) SAHIBGUNi

(١٣) PATNA

(١٤) RAXAUL

تطور الوضع الطائفي بشكل خطير في راي بريللي حيث حطم الهنادكة مصلى[1] العيد التاريخي ليلاً وأشعلوا النيران بالقرب من منازل المسلمين، وقام موكب من منظمة جان سنغ بإطلاق الشعارات الإستفزازية عالياً ضد المسلمين واصفين إياهم بالخونة ومهددين أعضاء الكونغرس من المسلمين إذا حاولوا إنقاذ إخوانهم في الدين فسوف يلاقون المصير نفسه الذي لاقاه غاندي، وذكرت جريدة الجامعة التي تصدر عن دلهي أن طلاب جامعة عليكرة الهنادكة نظموا موكباً وقاموا بوضع خطة مدروسة ومحكمة وأشعلوا النيران في متاجر المسلمين وهاجموا أصحابها ونهبت معظم الحوانيت وأحرقت.

ومن الجدير بالذكر أن السلطات المحلية لم تتخذ أي إجراء على الرغم من أنها أحيطت علماً بالأمر سلفاً. وذكرت الجامعة أيضاً أن مها سبها الهندوكية قد نظمت حوادث الشغب في بهوبال وفق خطة مدروسة سلفاً وقد دعي زعماء المهاسبها إلى اجتماع عام قبل حوادث الشغب وألقوا خطباً استفزازية.

في الواقع لم يوفر الهنادكة جهداً في استفزاز المشاعر الطائفية وإيذاء مشاعر المسلمين الدينية وعلى سبيل المثال جرت محاولة في غواليار[2] في ٢١ أكتوبر لحرق نسخة من القرآن الكريم في اجتماع عام. وقد نشرت صحيفة لكهنو كلمة في شتم نبي الإسلام وجرح عواطف المسلمين ومن أجل تحريض الجماهير الهندوكية على المسلمين عرضوا المسلمين أمام الرأي العام في أشكال مزرية مثال ذلك في احتفال عيد ديني للهنادكة (دورغا بوجا) في كلكتا صوروا إلى جانب الآلهة عدداً من المسلمين حفاة، عراة، وملتحين يرتدون ثياباً رثة وطواقي ويجرون الأبقار إلى المسلخ، وكذلك صوروا بعض زعماء الكونغرس ومنهم مولانا أبو الكلام آزاد واقفاً يراقب المشهد ويقول: «لا يهم ما يحدث فنحن نريد أصواتاً في الانتخابات»، وفي وصف آخر نرى اثني عشر

---

(١) في باكستان والهند لا يصلي الناس صلاة العيد في المساجد بل في الخلاء ويكون هناك مصلى خاص.

(٢) GWALIOR

شخصاً من المسلمين يدوسون (جيتا)[1] بأقدامهم. وقد وقف عدد من الهنادكة أمام هذه اللوحات يشرحون ويوضحون ما تعنيه بلهجة قذرة واستفزازية لحشد كبير من الناس. استمر هذا العرض عدة أيام ومع ذلك لم تتخذ السلطة أي إجراء لمنعه.

لقد لعبت الصحافة الهندوكية دورها بإخلاص في إثارة الكراهية الطائفية واتهم الأمين العام لجامعة العلماء مولانا حفيظ الرحمن الحملة الصحافية ضد المسلمين بأنها هي المسؤولة عن النزاع الطائفي في يوبي وقال: بأن الصحافة الهندوكية قد اشتركت في كتابات معادية للمسلمين، وعلى الرغم من أن رئيس الوزراء في يوبي شخصياً أنكر الإدعاء بأن المسلمين قد ألحقوا الإهانة (بجيتا) إلا أن الصحافة الهندوكية استمرت في دعايتها وبعث أحد عشر عضواً هندوكياً في المجلس النيابي مذكرة يقولون فيها بأنه من المؤسف أن تصدر كتب من وقت لآخر في هندوستان يهان فيها الرسول ولا تتخذ الحكومة أي إجراء ضده، كذلك أدان مولانا حسين أحمد مدني الحملة المنظمة لتشويه سمعة الإسلام في هندوستان وذلك في الخطاب الرئاسي الذي ألقاه في الدورة التاسعة عشرة لجامعة العلماء في (سورت)[2] في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٦.

وعندما اتخذت إجراءات كانت، ويا للأسف، ضد المسلمين المظلومين وليست برفع الظلامة عنهم، إذ شن رجال الشرطة غارات متعددة على مناطق المسلمين في كانبور في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٦ واعتقلوا ٤٢ مسلماً منهم محرر صحيفة السياسة التي تصدر بالأردية وكذلك اعتقلوا رئيس جمعية علماء الهند في يوبي مولانا شهيد فخري بتهمة التحريض على الفتنة. وفي بهوبال اعتقل رجال الشرطة ١٠ أشخاص لقيامهم بمظاهرات ضد نشر كتاب (الزعماء الدينيون). وقام رئيس وزراء يوبي سامبور[3] نند ووصف سلوك بعض المسلمين

---

(١) GiTH أحد كتب الهنادكة المقدسة.

(٢) SURAT

(٣) SAMPUR NANAND

على أنه عمل غير لائق في احتجاجهم على ما جاء في صحيفة لكهنو وعلى إرسالهم رسائل تتعلق بذلك إلى السفارات الأجنبية وإلى ملك المملكة العربية السعودية، واستنكر نهرو شخصياً غضب المسلمين من نشر الكتاب قائلاً بأنه: «عمل لا أهمية له»، وذهب إلى أكثر من ذلك إذ اتهم المسلمين بالبدء بحوادث الشغب.

وقد أدى كل هذا إلى تشجيع النزعة العدوانية عند الهنادكة. ولا عجب أن يقوم وزير مالية سابق في يوبي هو (باليوال)[1] باتهام حكومة يوبي بأنها مسؤولة عن حوادث الشغب الطائفية التي حدثت في الولاية.

كذلك قامت الصحافة الأجنبية بانتقاد موقف الحكومة الهندوكية من المسلمين، وعلى سبيل المثال ذكرت الصحيفة الاسبوعية (نداء الحق) التي تصدر عن طهران بأن الحكومة الهندوكية بدلاً من تهدئة المسلمين في الهند والتعويض عليهم على ما أصابهم من مظالم أوحت بالاضطراب الطائفي في عدة أماكن لكي تكره المسلمين بالتهديد على الامتناع عن التعبير عن مشاعرهم ضد هذا الكتاب المثير للعواطف والذي يستفز الاختلاف. كذلك أدان العلامة موسوى وهو عالم إيراني كبير نشر هذا الكتاب، وفي مقالة افتتاحية تحت عنوان: (اضطهاد المسلمين) كتبت صحيفة (نيغار)[2] الأسبوعية تقول:

إن الاحتجاج الصامت الذي قدمه المسلمون الهنود العزل احتجاجاً على نشر كتاب معاد للدين الإسلامي هو (الزعماء الدينيون) قد جعل حياتهم تعيسة في هذا البلد. إن إهانة المسلمين لا تعد جريمة في بلد علماني وديمقراطي مثل هندوستان ولكن الاحتجاج الشفهي لهؤلاء المسلمين المضطهدين الضعفاء يعتبر جريمة، والعنف هو الطريقة المناسبة لمعاقبتهم.

وكتبت صحيفة تركمان الصادرة عن استنبول بلهجة مشابهة ووصفت

---

(١) DALiWAL

(٢) NIGAR

حوادث الشغب الجارية في هندوستان وذكرت بأن المسلمين لا يملكون حرية التفكير ولا التعبير ، مما يتمتع الهنادكة الباكستانيون بهذه الحريات على أوسع نطاق.

وفي شهر ابريل سنة ١٩٥٩ اندفعت الموجة الثانية لحوادث العنف واجتاحت أربع ولايات هندوكية وأودت بحياة عدة مئات من المسلمين إلى جانب خسائر مالية تقدر بعدة ملايين من الروبيات لحقت بهم، وكانت ولاية بهوبال في مادهيا براديش مسرحاً لبداية المأساة. وذكر مولانا حفظ الرحمن بأن نحو مئة شخص لقوا مصرعهم وأصيب أربعة مساجد بأضرار وأحرقت ودمرت ممتلكات تقدر قيمتها بعدة ملايين من الروبيات وتعرضت المساجد للهجوم وانتهاك حرماتها وأضرمت النيران في صفوف جماعات المسلمين، والأسوأ من ذلك كله أن الشرطة القمعية كلها توجهت نحو جماعة واحدة فقط وهم المسلمون، ولم تترك حتى الشيوخ والعاجزين، وشنت الغارات على المنازل والمساجد وتعرض الأبرياء لمعاملة عنيفة ووحشية مما لا نظير له في تاريخ بهوبال.

وعلقت صحيفة إنكليزية يومية تصدر في بمبي على حوادث الشغب هذه هناك وقالت: «إن الحوادث التي جرت في بهوبال يجب أن تثير اهتمام جميع المفكرين في أنحاء البلاد كلها». ومما يبعث على الأسف أن تتحول مناسبة سعيدة مثل (هولي)[1] إلى حوادث شغب طائفية، ومما يؤسف له أيضاً أن يحدث توتر طائفي في بعض أجزاء البلاد بعد نحو تسع سنوات من إعلان دستور

---

(١) بما أن اليهودية والهندوكية من أصل واحد، كما أرى، وأحكام شريعتيهم متشابهة فكذلك يوجد تقارب وتشابه في أعيادهم. فهذا العيد الذي يسميه الهنادكة هولي هو شبيه بالعيد الذي يسميه اليهود شبعوت مع فارق بسيط، وهو أن اليهود في هذا اليوم يتراشقون بالماء فقط، وأما الهنادكة فإنهم يتراشقون بمسحوق أحمر أو بماء مصبوغ بمادة حمراء، وكما أن اليهود يداعبون مواطنيهم من مسلمين ومسيحيين برشهم بالماء فكذلك يفعل الهنادكة مع غيرهم أيضاً.

جمهورية علمانية يضمن حرية الضمير والعبادة لكافة مواطنيها.

ووجهت صحيفة إنكليزية يومية أخرى السؤال التالي إلى حكومة مادهيا براديش: كيف يستطيع هذا العدد الكبير من الناس أن يجتمعوا ويستعدوا لمعارك ضارية ولا تعلم الحكومة شيئاً عن هذا الأمر ثم لا تعلم عنه شيئاً بعد حدوثه؟! لا شك أن الجهاز الإداري في الدولة ليس عاجزاً إلى هذا الحد عن استعادة السلام...

وكذلك لم تبذل الحكومة أي جهد جديّ لمعاقبة المجرمين وقد سأل مولانا حفظ الرحمن عن عدد الأشخاص الذي اعتقلتهم الشرطة من هؤلاء المجرمين وقال: «أليست أكثريتهم ما زالت حرة طليقة وفي حصانة من القانون؟» وقال: «كم بلغ عدد الضحايا الذين عانوا من الخسائر الباهظة والأضرار الكبيرة في هذه العمليات المخالفة للقانون والذين تم استجوابهم من قبل رجال الشرطة في عمليات البحث لمعرفة المجرمين؟».

لم تنحصر هذه العمليات في بهوبال وحدها بل امتدت إلى المدن الهندوكية البعيدة مثل لكهنو وأحمد آباد ومبارك بور وداتا[1] نغر حيث قام الهنادكة بأعمال عنف مع تستر رجال شرطة المنطقة عليهم واستهدفت أرواح المسلمين وممتلكاتهم، حتى في أماكن مثل كلكتا كما ذكرت صحيفة إنكليزية يومية ومحلية إذ قالت: «اتسم الإحتفال بعيد هولي بعدد من حالات الفوضى والمناوشات الثانوية، وكان هناك شكاوى متعددة عن قذف الطين والأقذار والأوساخ على المارة بدل رشهم بالماء. ولكن في مدن أخرى لم يكتف معربدو هولي والعناصر المشاغبة بهذه التصرفات الهازلة بل قاموا بأعمال نهب وحرائق وأعمال عنف منظمة تعتبر من أسوأ أعمال الفوضى التي جرت خلال عقد من الزمن ضد الأقلية المسلمة في المناطق الريفية والحضرية».

وإليكم ما كتبته صحيفة يومية تصدر في بمبي قالت: «لقد انكشفت

---

(١) DATA NAGAR

الأعمال الوحشية التي ارتكبها رجال الشرطة بحق المسلمين في مبارك بور، في محافظة أعظم[1] كره (في ولاية اوتار براديش) الهندوكية والطريقة التي انتهكوا فيها حرية المساجد والوحشية والعنف اللذين استعملوهما بحق النساء وكل ذلك أصبح معلوماً ومعروفاً للجميع». وكذلك كانت أقوال البرلمانيين الهنادكة مرعبة جداً تقشعر منها الأبدان، ومع ذلك استمرت حكومة أوتار براديش في تجاهلها لهذه الأحداث ولم تتخذ أي إجراء ضد ضباط الشرطة المسؤولين عن هذه الجرائم. إن مثل هذه الحكومة لا يحق لها أن تبقى في السلطة.

وعلقت صحيفة برابهات[2] اليومية السيخية على ذلك بقولها: «تقع مسؤولية حوادث الشغب هذه على عاتق أفراد المجتمع الهندوكي الذين يريدون تأسيس حكم استعماري هندوكي في البلاد ويهدفون إلى تحويل حياة الأقليات إلى جحيم لا يطاق، وإذا كان المسلمون اليوم هم ضحايا هذه المخططات الشنيعة فغداً ستكون أقليات أخرى هي الضحية أيضاً».

وطالب مولانا حفظ الرحمن بإجراء تحقيق قضائي وقال: «إذا كانت الحكومة لا ترغب بإجراء تحقيق مفتوح يمكن أن يُجرى التحقيق القضائي في مكتب القاضي سراً ثم يرسل التقرير إلى رئيس الوزراء لاتخاذ الاجراءات اللازمة ولكن مثل هذه المطالب لا تلقى أذناً صاغية».

على الرغم مما في هذه الاضطرابات من فظائع فإنها تبدو ضئيلةً جداً بالنسبة إلى حوادث الشغب المروعة التي جرت في بهار في ٢٠ ابريل سنة ١٩٥٩، إذ اعترف رئيس وزراء بهار (سينها)[3] في مجلس الدولة بمقتل ١٤ شخصاً وجرح ٤٥٠ جراحُ ٧٨ منهم خطيرة وذلك في حوادث الشغب الطائفية التي حدثت في (سيتا مارهي)[4] منذ السابع عشر من ابريل وما بعد. واعترف بأن هذه الحوادث بدأت عندما هاجمت عصابة هندوكية فندقاً للمسلمين في

---

(١) AZAMGARH

(٢) PRABHAT

(٣) SINHA

(٤) SITAMARHI

احتفال (رامنومي ميلا)[1] وقتلت نزلاءه وعدداً آخر من الأشخاص، ثم بعد يومين من هذا الحادث أي في ١٩ ابريل هاجم الهنادكة قرية صغيرة للمسلمين في مقاطعة (هتسار)[2] في بهار وفرّ المسلمون بأرواحهم تاركين وراءهم كل ما يملكون.

وفي الوقت الذي كان فيه رئيس الوزراء يلقي خطابه في مجلس الدولة كانت حوادث الشغب المعادية للمسلمين منتشرة في أرجاء أخرى من البلاد. وفي ٢٠ من ابريل قتل أربعة أشخاص وجرح عدد كبير من رجال الشرطة في اصطدام وقع في قرية (اكهتا)[3] في شمال بهار.

وفي اليوم الذي سبق الحادث آنف الذكر قتل شخص واحد وجرح ثلاثة آخرون، منهم امرأة بجروح خطيرة وفي مدينة أحمد آباد، وذلك في نزاع نشب بسبب رمي الأوساخ على ثلاثة من المسلمين في محلة كالوبور[4].

لم تنته ثورة الهنادكة عند هذا الحد بل ذكر رئيس بلدية مظفر بور الذي زار سيتا مارهي، التي دمرتها الاضطرابات، باعتباره رئيساً لمجموعة تتألف من سبعة أشخاص غير رسميين أنه قال: «قتل حوالي ٢٠٠ مسلم وجرح أكثر من ألفين في سيتا مارهي وحدها، ووجد الفريق الزائر برهاناً على أقبح الأعمال الوحشية التي ارتكبت ضد المسلمين من رجال ونساء وأطفال على حد سواء».

وكتبت صحيفة تريبيون التي تصدر عن امبالا وصحيفة أندين إكسبرس التي تصدر عن بمبي افتتاحيات عن الحوادث المروعة والشائنة التي ارتكبت في سيتا مارهي والانهيار التام للقانون والنظام في المنطقة.

---

(١) RAMNAUMI MELA

(٢) HATSAR

(٣) AKHTA

(٤) KALUPUR